دور الخطابة المنبرية في تطور اللغة العربية في جنوب نيجيريا "خطبة الدكتور عبد البارئ أديتنجي نموذجا"

د. عزّالدين أديتنجي و راجي كامل أكنؤ

المقدمة:

تعد الخطابة فنا نثريا وسلاحا للعرب في الجاهلية، وأيسر طريقة لنشر رسالة الله في العصور الإسلامية، ولها دور فعال في الحقل اللغوي الأدبي حيث تستخدم لمخاطبة الجماهير في المجتمع الإنساني بطريقة إلقائية يطلب بها الإقناع والاستمالة والتأثير في نفوس السامعين. لهذه الوظيفة ، لها دور هام في نشر اللغة العربية وتطويرها في نيجيريا بصفة عامة وفي جنوب غربه بصفة خاصة. علاوة على هذا، قد كان سعادة دكتور عبد البارئ أديتنجي من طليعة فحول العلماء وفرسانها في ديار نيجيريا الذي له باع طويل في إلقاء الخطبة العربية الجيدة بيد أنه لم يذق العربية قط في بلاد العرب ولا يسكن بينهم حتى صدر ما نسمى بكتاب خطبته المعنونة بـ(روائح العنبر في الخطب المنبر) الحاوي بمجموعة خطبه المنبرية بموضوعات مختلفة ومناسبات متنوعة. علاوة على هذا، يهدف هذا البحث النظر إلى دور الخطابة المنبرية في تطور اللغة العربية في جنوب نيجيريا (خطبة الدكتور عبد البارئ أديتنجي نموذجاً)، ولكن قبل الخوض في صميم الموضوع، يرتكز هذا البحث على دراسة مفهوم الخطابة وتاريخها عبر العصور المختلفة، وكذلك يناقش عن ترجمة وجيزة لحياة الخطيب (الدكتور عبد البارئ أديتنجي).

مفهوم الخطابة وتاريخها عبر العصور المختلفة

الخطابة: مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب، يخطب، خطابة واسم الكلام الخطبة. وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور والمسجع ونحوه١ . وقال الجوهري: خطبت على المنبر خطبة بالضم خطبت المرأة خطبة بالكسر، واختطب فيهم. وأقول خطب خاطبها حسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام وخطب الخطيب خطبة حسنة واختطب القوم فلانا دعوه إلى أن يخطب إليهم، يقال اختطبوه فما خطب إليهم٢. فالخطابة مصدر خَطَبَ يَخْطُبُ: ألقى خطبة، والخطابة أو الخطبة هي الكلام المنثور الذي يقصد به التأثير والاقتناع، فهي لاتخرج عن إطار الخطاب اللغوي ألإقناعي الذي يخضع لضوابط وقواعد اللغة، وبذلك يتمكن من تقديم الحجج أو استنباطها واستقرائها عن طريق الروابط (ذلك، أن، حيث، لهذا، ثم الخ) فهذه العملية تخضع لعملية تفكير تساير المنطق و تأخذ وضعية المخاطب الاجتماعية والمادية ومؤهلاته الفكرية بعين الاعتبار فيحصل أن يكون الإقناع واضحا يستخلص من المعطى الظاهري للخطاب وإما أن يكون ضمنيا يستخرج من المعنى الاقتضائي للخطاب وهذا جانب انكبت عليه دراسات المناطقة واللغويين٣. وقد وضع العلماء عدة التعريفات للخطابة، ورأى ابن رشد أن الخطابة هي نوع من الكلام يعرف بالخطبة يلقى في الناس وغايته التأثير والإقناع.٤ في المنجد في اللغة، هي فن مشافهة الجمهور للتأثير عليهم أو استمالتهم٥. عرفها أرسطو بأنها الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة٦.وهي فن من الفنون الأدبية عرفه الإنسان قديما إذ مارسه الأنبياء والزعماء والقادة ،وقد تطور هذا الفن فوضعت أصوله و قواعده وحددت أنواعه وأساليبها.

عرف العرب الخطابة منذ الجاهلية وتطورت عبر العصور فاكتسبت ميزات خاصة بكل عصر كما تحددت قواعدها وأصولها لا سيما في العصر الحديث، نبغ فيها مشاهير ساهموا في رفع بنودها وازدهارها.٧

موضوعها:

لقد اعتبر بعض الباحثين في تعريفهم أن الخطابة علم من العلوم، فلا بد له من

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

الموضوع، وقال ابن رشد ناقلا عن أرسطو: ليس "للخطابة موضوع خاص، تبحث عنه بمعزل عن غيره، فإنها لا تخيم عن النظر في كل العلوم والفنون، ولا شيئ حقيرا كان أو جليلا معقولا أو محسوسا إلا يدخل تحت حكمها، ويخضع لسلطان لسامها، ومن ثم يترتب على الخطيب أن يكون له إلمام بكل صنف من المعارف، بل أن ينبغي له أن يوسع كل يوم نطاق مداركه، وذلك حق لا ريب فيه، فإن كل مسألة عامة، أولها صلة بشأن عام، يصح أن تكون موضوع الخطابة: كحب الوطن، وإقامة العدالة وتسكين الفتن، وتمسط بالفضيلة وغير ذلك، بل من السائل الخاصة كالخصومات والعقود والمدينات ونحو ذلك٨ ويمكن تقسيم تاريخها عبر العصور إلى خمسة أقسام:-

الخطابة في العصر الجاهلي:

كان العرب أغنياء بالخطابة في العصر الجاهلي إذ كانوا يتخيرون لها المعاني الجزلة وأحسن الألفاظ للوصول إلى غرضهم وتحقيق مساعيهم ومعضم ما وصل إليه من الخطب التي قيلت في هذا العصر جاء مسجعا، ومن عادات الخطيب في الجاهلية أنه إذا خطب في تفاخر أو تنافر أدى كثيرا من مقاصده بحركات اليد وأخذ المخصرة بيده وهي ما يتكئ عليها كالعصا ونحوها واستحسنوا في الخطيب الصوت الجوهري ومن أشهر خطباء العصر الجاهلي قيس بن ساعده الأيادي وعمربن كلثوم٩.

الخطابة في العصر الإسلامي:

ازدهرت الخطابة في هذا العصر ولا سيما الخطابة الدينية والعربية بزوال خطابة المنافرات والمفاخرات والانصراف عن السجع وانطباع الخطبة باللين والهدوء وعدم الاستشهاد بالشعر، وأهم ما تميزت به الخطابة في صدر الإسلام تأثرها بأسلوب القرآن الكريم إلى حد بعيد فهي تستمد منه ما يساعد في الإقناع والإرشاد والاحتجاج فكان الخطباء يزيينون كلامهم منه بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، كذلك اتخذت الخطبة في هذا العصر تقليدا خاصا في البدء بالبسملة والحمدلة والختام بالدعاء والاستغفار. وكان هم الخطباء أداء الفكرة من غير صناعة أو تنميق وأشهر الخطباء النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والإمام علي بن أبي طالب١٠

الخطابة في العصر الأموي:

تابعت الخطابة ازدهارها في عصر بني أمية واتجهت إلى الصناعة والعناية بالتأنق، ورغم إبقائها على تقليد الخطبة في البدء والختام ، عاد الخطباء إلى الاستعانة بالشعر لتنميق خطبهم كما عادوا إلى استخدام السجع١١ .وكانت الخطابة السياسية أبرز أنواع الخطابة في هذا العصر. لبرزوا الأحزاب فصاحتها في صراع سياسي عنيف وكان الخطباء من الخلفاء والأمراء والولاة والقادة، فاتسمت خطبتهم بقوة الشخصية والاعتداد بالنفس والأنفة وبالقسوة وأسلوبها العربي الخالص.

الخطابة في عصر الانحطاط:

لم يعد للخطابة أهمية في هذا العصر وابتعد الأدب عامة عن الطبع والسليقة وصار مغرقا في الصناعة والتكلف، وحل مكان الخطابة الكتابة الديوانية والرسائل والكتابة العلمية١٢.

الخطابة في العصر الحديث:

استعادت الخطابة مكانتها في العصر الحديث لأسباب متعددة منها انتشار العلم والمدارس وتأليف الأندية والجمعيات الثقافية وبروز الحركات السياسية الداعية إلى التحرر والانعتاق من قيود العادات والتقاليد البالية والاستعمار ترفدها ما أطلع عليه أدباء العرب من أفكار ومبادئ أعلنها وعاشها الغرب، كذلك ساعد في انتشار الخطابة تمديد الدول العربية، وبرز في هذا العصر أنواع من الخطابة كالمحاضرة والحديث الإذاعي والتلفزيوني والندوة متعددة الأصوات وكلما تصاغ بأسلوب ولغة بسيطة، أمثال الخطباء في العصر الحديث هم سعد زغلول، مصطفى كامل، محمد عبده، أمين الريحاني١٣.

أغراض الخطابة

إن الخطابة كدورها في المجتمع لها أغراضها المختلفة، وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي. وهذا الازدهار هيأ لها أسبابا وأغراضا منها:

- الخطابة الدينية: وهي التي تلقي في الكنائس والمساجد وغايتها الوعظ والإرشاد وشرح الأمور الدينية ويغلب فيها عنصر الإيمان وتدعو إلي الخير وتجنب الشر والتمسك بأهداف الدين والفضيلة١٤.
- الخطابة السياسية: وهي التي تعالج فيها الخطيب قضايا الوطن والشعب والشؤون السياسية ،كل أنواعها وقد

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

ازدهر هذا النوع من الخطابة في العصر الحديث بانتشاره إلى الأنظمة الديمقراطية والمجالس النيابية وازدياد الأحزاب والعقائد.١٥

- الخطابة الاجتماعية: وهي التي تلقي في المناسبات المختلفة، ويمكن أن تتدرج تحت هذا النوع خطب الرثاء، المديح، التهنئة، والتكريم. والخطب التي تلقي في الأعياد الوطنية كعيد الاستقلال ويوم الطفل وعيد الأم وغير ذلك وتلعب العاطفة دورا بارزا في صياغة هذه الخطب وإلقائها ١٦.
- الخطابة القضائية: هي التي يلقيها أعضاء النيابة العامة والمحامون في قاعات المحاكم وتعتمد على القوانين والمنطق في إزاء الحجج ومن أجل إثبات المحتكم أو إدانته١٧.
- الخطابة العسكرية: وهي التي يلقيها أعضاء القادة العسكريون لاستنهاضهم الجنود وإثارة الحماسة في القلوب لدفعهم إلى حرية القتال عن حياض الوطن وكرامته واستقلاله١٨.
- المحاضرة: وهي نوع خاص من الخطابة تتصف بالطول والتحليل والعمق والتسلسل المنطقي، وهي تشبه البحث إلا أنها تتميز عنه بالسهولة وقربها من الإفهام بالتشويق كما أنها تتميز عن الخطبة في أنها لا ترتحل إنما تكتب،ويعاد النظر فيها مرارا قبل إلقائها على السامعين وقد تكون المحاضرة أدبية أو علمية أو اجتماعية أو فلسفية. وقد ازدهرت المحاضرة باتساع دائرة العلم وقيام الجامعات وانتشار المدارس والمؤسسات الثقافية١٩.
- المناظرة أو الندوة: هي تقوم بين متناظرين أو أكثر، ويتناول كل واحد منهم طرفا في موضوع المناظرة أو الندوة، ويبدي فيه رأي يدلي بحججه وبراهينه لاحظا بذلك الخصم أو مكملا ما عرضه هذا الآخر، وقد يترك الحاضرون في النقاش وتقدم الندوات لمناقشة مختلف الموضوعات من سياسة أو اقتصادية، اجتماعية وثقافية وغير ذلك٢٠.
- الحديث الإذاعي والتلفزيوني: نشأ هذا النوع ازدهر بانتشار الإذاعة وشبكات التلفزيون لأن أهمية الإعلام السمعي والبصري تكمن في أنه يدخل كل بيت ويؤثر باهتمام الناس لذلك استعيض بالحديث المذاع والمتلفز عن الخطابة في كثير من الأحيان، وشرط الحديث الإذاعي والتلفزيوني أن يكون قصيرا وموجزا وذا موضوع واحد إضافة إلى سهولة الأداء وحسن الغرض٢١.

دور الخطابة في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا

لقد ذكرنا سابقا أن الخطابة فن نثري لمخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية نشمل على الإقناع والاستمالة والتأثر، وإذا تأملنا ما عرضنا حول التطور اللغوي نجد أن الخطابة دور فعال لا حد لها في انتشار اللغة العربية وتطورها في جنوب نيجيري، لأن اللغة تطور عن طريق استخدامها قياسيا في مخاطبة الجماهير يوميا أكانت أو أسبوعيا أم سنويا. والقياس عامل من أهم عوامل التطور اللغوي العربي، وهو مبدأ من مبادئ التجديد والخلق والإبداع في اللغة. وللقياس والخاطئ أثره البالغ في تطوير اللغة العربية أيضا. فالأخطاء التي تؤدي عليها تمثل محاولة غير واعية لتبشيط المسائل اللغوية والقضاء على ما شذ منها، وبذلك تتخلص ذاكرة المتكلم من حفظ ما يراهقها من الظواهر التي لا تستجيب لقواعد اللغة ومتطلبات القياس اللغوي٢٢.

وجدير بالذكر أن عامل دلالي في الخطابة له دور في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا، لأن استخدام الكلمات يحدد التطور الدلالي، تبعا لاستعنالات التي تستخدم فيها الكلمات، فإذا أخذنا على سبيل المثال___ كلمات الصلاة، والصوم، والمؤمن، والكافر، والإسلام. إن هذه الكلمات تدل على مدلولات معينة قبل مجيئ الإسلام، ومع الإسلام استخدمت هذه الكلمات استخدامات معينة واستعملت استعمالات خاصة. فالحياة الدينية استبعت وجود مصطلحات كثيرة لم تكن معروفة من قبل، فانتقلت الألفاظ من معانيها اللغوية الأولى للدلالة على ما جدّ في حياة العربية عن طريق الإسلام، كما كانت مذكورة أعلاه، فهذا أيضا عامل أساسية لعبتها الخطابة في التطوير اللغوي العربي في جنوب نيجيريا.

وأيضا، تعتبر انتقال اللغة من السلف إلى الخلف عاملا من عوامل التطور الدلالي اللغوي وخاصة في جنوب نيجيريا وفي مجتمع المسلمين عامة، لأن الخطيب المنبري كثير ما يستخدم كلمات مثل أسماء الشهور كرجب ورمضان، كان يطلق على فترات محددة٢٣ ومجموعة الإبل، والبريد على الدابة التي يحمل الأخبار، والسيارة على المجموعة السائرة؟.

وإذا كان الأمر كذلك فإن للخطابة المنبرية وغيرها دور حضاري متميز

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2
UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

ممتازة في الحفاظ على اللغة العربية وتطورها اجتماعيا من حيث نقلها من السلف إلى الخلف. وهذا ما يتطرق مرارا وتكرارا في خطبة الدكتور عبد البارئ أديتنجي، وذلك باستخدامه للألفاظ العربية ذات صلة بالدين والثقافة الإسلامية على منبره. وبها تأثر في نفس سامعيه بأسلوبه الفعّال معتقدين أن هذه اللغة ليست لغة العرب وإنما لغة المسلمين عامة موروثة من أسلافنا عن طريق القرآن الكريم. وقد أفادنا الثعالبي أنها "خير اللغات والألسنة" وجعل السبب في ذلك نزول القرآن الكريم بها٢٤. سيظهر هذا البحث نماذج الخطبة المنبرية مما يقدمها الخطيب المنبري المفلق عبد البارئ أديتنجي الموجود في كتابه المعنون " روائع العنبر في خطب المنبر" لنرى مدى دور الخطابة المنبرية في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا.

ترجمة صاحب الخطب المنبرية : الدكتور عبد البارئ أديتنجي

هو الدكتور عبد البارئ أريمو أديتنجي، المولود في أبومو (أحد البلديات التابعة حينذاك الإبادن، ولاية أويو، نيجيريا) في ١٣ أبريل ١٩٤٨م، وكان أبوه الحاج محمد الراجي أولايوولا أديتنجي من مواليد مدينة إبادن، نيجيريا ، وكذلك أمه السيدة منيرة أنيكى أديتنجي من مواليد أبومو٢٤

نشأ الدكتور عبد البارئ في مدينة إبادن تحت حضانة أبويه، وتتلّمذ على أيدي كبار العلماء العبقري المعرفين ، وبدأ دراسته الابتدائية الحكومية بمدرسة أنصار الدين بأبومو ما بين (١٩٥٥-١٩٦٠م) وحصل على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٦٠م، ثم واصل دراسته الثانوية بمدرسة الثانوية الحكومية في سنت أوغورستين، إكيرى ما بين (١٩٦٣- ١٩٦٦ م)٢٥ ، وفي سنة ١٩٦٤م- ١٩٦٦م، التحق بمدرسة شرف الدين العربية بأبومو لتقدم في دراسته العربية والإسلامية، وحصل على الشهادة الإعدادية فيها ، وفي سنة ١٩٦٦م،انتقل إلى إبادن ولاية أويو ليواصل دراسته العربية والإسلامية، ودخل بمدرسة الخراشي العربية الثانوية بإبادن، وحصل على الشهادة الثانوية في العربية والإسلامية بتقدير ممتاز باهر في عام ١٩٧٠م.

التحق الدكتور عبد البارئ بجامعة إبادن وسجل فيها لنيل شهادة الدراسات العربية والإسلامية للاستزادة في العلم والمعرفة ولتحقيق رغباته وميوله وانتهى في سنة ١٩٧٦-١٩٧٧ ، وعلى جهوده الشخصية نال شهادتي التربية العامة على المستوى العادي والتربية العامة على المستوى المتقدم لهيئة غرب إفريقيا للامتحانات بين ١٩٧٧-١٩٧٨م ، ثمّ واصل دراسته بجامعة جوس نيجيريا حيث حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٨٢م بتقدير جيد جدا،ثم واصل دراسته أيضا بجامعة إبادن لنيل شهادة ماجستير في الدراسات العربية والإسلامية وانتهى في سنة ١٩٨٤م، والدبلوم العالي من نفس الجامعة سنة ١٩٨٨م. وحصل شهادة الدكتوراه سنة ٢٠٠٥م بجامعة إلورن نيجيريا.٢٦

ومنذ سنة ١٩٧٢م، نظم الدكتور عبد البارئ أديتنجي في طقم التدريس في مختلف المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والدراسات العليا (الحكومية والأهلية) وكما خدم الدكتور في مختلف المكانات المرموقة داخل كلية الفيدرالية أوشيلي ولاية أوغن وخارجها كالمحاضر في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، مثل: مدرسة الأحمدانية الابتدائية، أكنوري (١٩٧٢-١٩٧٥م) ، مدرسة الأحمد الثانوية، أراورومي ، إبادن (١٩٧٧-١٩٨٢م) ، معهد الدراسات العربية والإسلامية ، أيليكورو، إبادن (١٩٨٢-١٩٨٣م) المدرسة الإسلامية الثانوية ، أودنجو ، إبادن (١٩٨٣- ١٩٩١م) ، مدرسة الأمة الثانوية ، أراورومي أيرن، إبادن (١٩٩١-١٩٩٥م) ، وكذلك درس في المدارس العليا منذ ١٩٨٧م إلى الآن ، مثل: كلية إبادن التكنولوجية، إبادن (١٩٨٨-١٩٩٤م)،كلية التربية لولاية أوشن، إلاأورنغن ، مركز إبادن نيجيريا (١٩٨٩- ١٩٩٧م) ، كلية زليخا أبيؤلا للدراسات العربية والإسلامية ، أبيؤكوتا نيجيريا، (١٩٩٦- ٢٠٠٥م)،كلية الشريعة الإسلامية للشيخ عبد العزيز بن باز التابعة لجامعة أحمد بلّو زاريا، نيجيريا، وجامعة الحكمة إلورن ، إلورن ، نيجيريا، (٢٠٠٩-٢٠١٠)، وجامعة المفتوحة الدولية ، نيجيريا (٢٠٠٨-٢٠٠٩م) وكلية الفيدرالية أوشيلي – أبيوكوتا ولاية أوغن من (١٩٩٥- ٢٠١٣)٢٧ ، حيث تقاعد من وظيفته الحكومية نهاية في السنة نفسها .

لعب الدكتور عبد البارئ أديتنجي أدوارا ملموسة في تطور اللغة العربية ونشر الدعوة الإسلامية ، وتفرغ للقيام بكتابة البحوث العديدة وألف ما فوق ثلاثين كتابا، ونشر كذلك ما فوق سبعين مقالة أكاديمية في اللغة العربية وآدابها ومواضع أخرى في

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الدراسات الإسلامية في مختلف المجلات بنيجيريا منذ ١٩٩٤م، وكذلك له مقالات رائعة مختلفة قدمت في المناسبات الأدبية والثقافية والدينية والعلمية، وشارك في عدد كبير من المؤتمرات الدينية والعربية بمختلف أنحاء نيجيريا وخارجها، وألقى فيها المحاضرات منذ سنة (١٩٩٥م) حتى أيامنا الراهنة .

وكان الدكتور عبد البارئ أديتنجي ذا ثقافة واسعة وأصيلة، يجمع عدة الثقافات، حيث اختلط بالقبائل المختلفة حين يبحث عن العلم والمعرفة. وله فصاحة في اللغة اليوربوية، وأتاحت له الفرصة أن يجمع بين اللغتين (الانجليزية والعربية)، إذ قلّ من معاصره أن يجمع بين الثقافتين .وأعانه كلّ ثقافته بإصدار عدد غير قليل من الكتب العربية والانجليزية العريقة. ولهذا يقول عنه البروفيسور زكرياء حسين، (محاضر اللغة العربية وآدابها، جامعة إلورن ،نيجيريا) في تقريظ كتابه (أعراق الذهب):

"أما بعد، فيسرني أن أقرّظ هذا الكتاب " أعراق الذهب " للشيخ عبد البارئ أديتنجي، أحد العلماء العظماء المعاصرين في مدينة إبادن، مدير كلية عبد البارئ لدراسات العربية والإسلامية أولومي إبادن، نيجيريا"٢٨

وقال عنه أيضا بروفيسور حامد الثاني (محاضر اللغة العربية وآدابها بجامعة ولاية لاغوس):

"ولقد قام مؤلفنا بمهام التدريس في مختلف المدارس طوال الثلاثين عاما الماضية، وهو شاعر أديب عبقري"٢٩

وقال أيضا:

"هو شاعر معاصر حسن الديباجة وقوي الأسلوب، وهو مؤسس كلية الدراسات العربية والإسلامية ، أولومي، إبادن. كان متضلعا من فنون الأدب ، أخذ منه الناس وسار إليه الطلبة من كلّ الأفاق ، وله مؤلفات كثيرة كما له نشاطات علمية وحركات ثقافية إسلامية".٣٠

علاوة على هذا، كان الدكتور شاعرا معاصرا حسن الديباجة وقوي الأسلوب، وكان متضلعا من فنون الأدب، وثقافته الأدبية تحتلّه منزلة مرموقة ومكانة شامخة كطلوع الشمس بين أصدقائه وزملائه الطلبة . وكذلك هو عالم متفنن ومحاضر ومؤسس كلية عبد البارئ لدراسات العربية والإسلامية ، أولومي ، إبادن نيجيريا. ومن إصداره العربية والإسلامية ما يلي: العربية للمبتدئين .١٩٨٨م، العربية الميسرة للمدارس الابتدائية ، إبادن.١٩٩٣م ،(مع داؤد حميد) المسلك الجديد في اللغة العربية للمدارس والكليات، أبيؤكوتا .٢٠٠٠م ،أعراق الذهب. ٢٠٠٢م ، روائح الحكم ٢٠٠٢،أنفاق الذهب ٢٠٠٤، أوراق الذهب ٢٠٠٤، فحوص الأفاحيص في فنون الأقاصيص .٢٠٠٥، الولد الهرب (المسرحية العربية) ٢٠٠٥ ، بقاء المقدر (المسرحية العربية) ٢٠٠٥ ، طمس القسوة في أسلوب الدعوة، ٢٠٠٥، القراءة العربية في واحة الإفريقية، ٢٠٠٦، طرائف الإنشاء العربية للمعاهدة العالية . ٢٠٠٧، براعة العبارة في ملح الاستعارة .٢٠٠٧ ، أوساق الذهب . ٢٠٠٧ ،(مع حسن أمين) الزبدة الوافية في علم العروض والقافية .٢٠٠٨، سوابغ الكلم ٢٠١١م، (مع غيره) ،طرائف الإنشاء العربية للمعاهد العالية ٢٠١١ ، المطالعة التوجيهية لطلاب العربية في إفريقيا العربية ٢٠١١، كرم الحقائق في كرام الخلائق ٢٠١٢، ديوان عبد الباري ٢٠١٢ ، كسوة العاري في مقامات عبد الباري ٢٠١٢ (مخطوط)، فواكه الرياض في الحدائق والفياض ٢٠١٣، (مع غيره) شيم المواطر في الرياض النواضر ٢٠١٣، روائح العنبر في خطب المنبر (٢٠١٧)... وما أشبه ذلك.

عرض الديوان: روائح العنبر في خطب المنبر

إنّ الديوان الموسوم "روائح العنبر في خطب المنبر" من إنتاجيات القرن الحادي والعشرين في ديار نيجيريا، كتبه الدكتور عبد الباري أديتنجي ، المحاضر المتقاعد في قسم اللغة العربية، كليو التربية الفيدرالية، أوشيلي، أبيؤكوتا، ولاية أوغن، ومدير ومؤسس كلية عبد البارئ لدراسات العربية والإسلامية،أولومي، إبادن، نيجيريا. وطبع في مطبعة منشورات دار البيدخ للطباعة والوسائط، إبادن، نيجيريا في ١٤٣٨ه٢٠١٧م

يحتوي هذا الديوان المتواضع سبعة وخمسين خطبا، ، الذي وضعت فيه مجموعة من الخطب المنبرية العريقة، وذات عبرة جذابة وحكمة بالغة، وموعظة منفعة لخطباء الفحائل ، كتبه مؤلفه اقتداء بكتاب الخطب المنبرية من العرب والأعاجم في الدول العربي والإسلامية وغيرها.ولهذا، قال المؤلف في مقدمة كتابه: "أما بعد،فإن هذا الكتاب المعنون" بروائح العنبر في خطب المنبر، انتجته من مجموع خطبي ودروسي على مدار خمسة عشرين عاما في الدعوة والتدريس وجعلته على عدد جمع السنة كالخطيب المصقع

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2
UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل الشهير بابن نباتة وهو معدن الكمال، وإنسان عين الفضل والجلال. " ٣١

علاوة على هذا، قد بيّن المؤلف أسلوبه المتبع في إعداد خطبته ، حيث يجعله على عدد المجع الموجود في السنة الهجرية، مستهلا من المحرم إلى ذي القعدة، بعناوين متنوعة جذابة من كلّ أقسام الخطب المنبرية من الخطب الدينية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية وغيرها من أنواع الخطب الموجودة. ومن سيمة الأخرى المكتشفة من الخطبة ، هو أسلوبه الأديب اللغوي ، حيث يفحم الخطبة بالأساليب البلاغية والمنطقية والمعجمية. ولا شك أن المؤلف حاول إظهار عبقريته اللغوية والأدبية في ديوانه. ولهذا، قال الشيخ أحمد يوسف أحيفنلي في أثناء إناراته لديوان روائع العنبر في خطب المنبر:: "فهذا الكتاب الموسوم ب" روائع العنبر في خطب المنبر" كتاب لغوي حليل، وعمل أدب نبيل ، قدمه الأديب المعاصر، والسيّد المعاشر، مولانا الدكتور عبد البارئ أديتنجي الإبادني، تناولته بالجنان قبل البنان، وتصفّحته وإذا هو معدن المعاني، ومنبع البيان ، ومعجزة القلم واللسان، ينمّ عمّا لكاتبه من القدرة اللغوية الفائقة، والأوْيحية الأدبية الرائعة والأسرار البلاغية النادرة..... بالموضوعات المهمة التي أوردها والتراكيب العجيبة التي ابدعها...الخ ٣٢

نموذج من الخطبة المنبرية للدكتور عبد البارئ أديتنجي:

يعد الخطابة فنا نثريا وسلاحا للعرب في الجاهلية، وأيسر طريقة لنشر رسالة الله في العصور الإسلامية، ولها دور فعال في الحقل اللغوي الأدبي حيث تستخدم لمخاطبة الجماهير في المجتمع الإنساني بطريقة إقناعية يطلب بها الإقناع والإستمالة والتأثير في نفوس السامعين. لهذه الوظيفة دور هام في نشر اللغة العربية وتطويرها في نيجيريا بصفة عامة وفي جنوب غربه بصفة خاصة.

علاوة على هذا، قد كان سعادة دكتور عبد البارئ أديتنجي من طليعة فحول العلماء وفرسانها في ديار نيجيريا الذي له باع طويل في إلقاء الخطبة العربية الجيدة بيد أنه لم يذق العربية قط في بلاد العرب ولا يسكن بينهم حتى صدر ما نسمى بكتاب خطبته المعنون بـ(روائع العنبر في الخطب المنبر) الحاوي بمجموعة خطبه المنبرية لسنة كاملة على الأغراض الدينية، والإجتماعية، والسياسية. وها هنا نموذج من خطبته المنبرية الدينية: نص الخطبة: (برّ الوالدين).

الحمد لله الذي هدانا واختارنا، وأنزل القرآن هدى للناس وبيانا، وحكمة بالغة وفرقانا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يطمع في رضاه، وإلى جنته يتوق، وأشهد أنّ نبيّنا محمدا عبده ورسوله سيّد العظماء، وأشرف الكرماء، وأفضل من تحت السماء، اللهم فصلّ وسلّم على سيدنا محمد المرشد العامّ، إمام المرسلين ومسك الختام، صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وسلّم وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وسلام.

عباد الله! اتّقوا الله تعالى وقوموا بما أوجب الله عليكم من حقه وحقوق عباده، ألا وإنّ أعظم حقوق العباد عليكم حقّ الوالدين وحقّ الأقارب.

وقد جعل الله ذلك في المرتبة التي تلى حقّه وحقّ رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى...." (سورة النساء ٣٦) وقال تعالى: "ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي والوالديك إليّ المصير× وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدينا معروفا واتّبع سبيل من أناب إليّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون" (سورة لقمان ١٤-١٥).

وما من نبي الاّ وقد أمر ببرّ والديه كما جاء ذلك في محكم الآيات. قال الله عزّ وجلّ: "يا يحيى خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيا، وحنانا من لدنّا وزكاة وكان تقيّا، وبرّا بوالديه ولم يكن جبّار عصيّا (سورة مريم ١٢-١٤) وقال عيسى ابن مريم لقومه: "...إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّا× وبرّا بوالدتي ولم يجعلني جبّارا شقيّا" (سورة مريم ٣٠-٣٢). وقال إبراهيم لأبيه: "...سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيّا" (سورة مريم ٤٧) وقال نوح: "ربّ اغفر لي والوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات..." (سورة نوح ٢٨)

عباد الله! برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم وعفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم، واعلموا أنّ سخط الله في سخط الوالدين. وقال تعالى في تأكيد برّ الوالدين: "وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

قولا كريما× ربّكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنّه كان للأوّابين غفورا" (سورة الإسراء ٢٣-٢٥). إنّ برّ الوالدين كما يكون في حياتهما أيضا بعد مماتهما. فقد أتى رجل من بنى سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل بقي من برّ أبويّ شيئ أبرهما بعد موتهما، قال: نعم، الصلاة عليهما يعنى الدعاء، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما أي وصيّتهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلاّ بهما وإكرام صديقهما (رواه أبو داود).

وإنّ في برّ الوالدين سعة الرزق وطول العمر وحسن الخاتمة. فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من سرّه أن يمدّ له في عمره ويوسّع له في رزقه ويدفع عنه ميته السوء فليتّق الله وليصل رحمه، ألا وأنّ من أشراط الساعة أن يطيع الرجل زوجته ويعقّ أمّه ويبرّ صديقة ويجفوا أباه". ومن شقاوة المرء أن يحسن إلى أعدائه ويسيئ إلى من يحبّه ويهواه.

أتى عمر رضي الله عنه رجل فقال: أمّي عجوز كبير وأنا مطيّتها، أجعلها على ظهري، وأنحى عليها بيديّ وألى منها مثل ما كانت تلى منّي، أو أدّيت شكرها قال: لا قال: ولم يا أمير المؤمنين قال: إنّك تفعل ذلك بها وأنت تدعو الله أن يميتها، وكانت تفعل ذلك بك وهي تدعو الله أن يطيل عمرك.

الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أيّ العمل أحبّ إلى الله؟ قال: "الصلاة على وقتها، قلت ثمّ أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله وجاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال: أحيّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلا قال يا رسول الله من أحقّ الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمّك. قال ثمّ من؟ قال: أمّك. قال ثمّ من؟ قال: أمّك. قال ثمّ من؟ قال: أبوك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رغم أنفه ثمّ رغم أنفه، قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثمّ لم يدخل الجنّة. وقال صلى الله عليه وسلم: "الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس" وقال صلى الله عليه وسلم: "من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم، يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه ويسبّ أمّه فيسبّ أمّه" (رواه مسلم)

وقال: أربع حقّ على الله أن لا يدخلهم الجنّة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر وآكل الرّبا وآكل مال اليتيم بغير حقّ والعاق لوالديه.

عباد الله! اسمعوا كلام الله وكلام رسوله وتوبوا إلى الله جميعا.

جعلني الله وإيّاكم من الخيرة البررة، وجنبني وإياكم سبيل الفجرة، وتغمّدنا جميعا بواسع المغفرة، ووفّقنا لبرّ أمّهاتنا وآبائنا ورزقنا حسن القصد والسداد إنّه جوّاد كريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافّة المسلمين من كلّ ذنب فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.٣٣

مؤجز شرح الخطبة

بعد أن حمد الله وأثني عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الخطيب أخذ يخطب في موضوعه الذي دل على بر الوالدين وأتى بالأيات القرآنية الدالة على بر الوالدين، إذ هو من حقوق الله تعالى الذي فقد الأبناء في رماننا هذا.

وقد أعرب الخطيب أن كثيرا من الأنبياء بروا لوالديهم مثل نبي الله عيسى عليه السلام ونوح عليه السلام. أتى الخطيب بالآحاديث النبوية المتنوعة على بر الوالدين.

وإن في بر الوالدين سعة الرزق وطول العمر وحسن الخاتمة كما قال الخطيب مع إظهار الدليل من الحديث الشريف. ويذكر الخطيب أن من الكبائر عقوق الوالدين الذي هو عدم برهما.

ختم خطبته بالدعاء وترغيب المستمعين في بر الوالدين واجتناب عن عقهما. ويستغفر الله لنفسه والمستمعين.

الآثار البلاغية في الخطبة

إن الخطيب المجيد لن يخلو خطبته من الآثار البلاغية التي تحسن ألفاظه وتحسن معاني خطبته، لذلك يجدر بنا أن نبرز نظيره الموجودة في هذه الخطبة.

١. استعمل الخطيب براعة الإستهلال أي حسن المطلع وذلك في مطلع خطبته حين يقول: (...ألا وإن أعظم حقوق العباد عليكم حق الوالدين...) وبذكر هذا المطلع عرف السامعون موضوع خطبته. وبراعة الإستهلال عند البلغاء هو:

٢. استعمل السجع الذي هو توافق الألفاظ في مطلع خطبته لتحسين ألفاظه هلا تسمعه حين يقول:- (الحمد لله الذي هدانا، واختارنا، وأنزل القرآن هدى

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2
UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

للناس وبيانا، وحكمة بالغة وفرقانا. وباختتام أواخر ألفاظه بالنون المنون، هو السجع من محسنات اللفظي عند البلغاء. والسجع هو:-

٣. استعمل مجاز المرسل في قوله: (... سيدنا محمد، المرشد العام إما المرسلين ومسك الختام).
٤. والتشبيه في قوله: (مسك الختام): شبه محمد صلى الله عليه وسلم بالمسك، ووجه شبهه شهرته التي هي نفحه للعالم كله حيث أن المسك يفوح إلى العالم. وإنه جاء منأخرا وفاق كل الأنبياء نفحه إلا أنه خلا منه أداة التشبيه.
٥. القصر: في قوله:- (عباد الله! اتقوا الله تعالى وقوموا بما أوجب الله عليكم من حقه وحقوق العباد عليكم حق الوالدين وحق الأقارب). وهذا أسلوب الحكيم حيث فهم الداني والقاصي مضمون خطبته قبل نهايته.
٦. الوصل: في الآيات القرآنية التي استشهد كلامه مثل:- (ووصينا الإنسان بوالديه...الخ) وكذلك قوله تعالى:- (واعبدوا الله ولا تشركوابه شيئا... الخ الأية).
٧. الأمر: في قوله: بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا عن النساء...الخ) والأمر هنا للشرط.
٨. التكرار: في قوله عباد الله، هنا للتنبيه والتأكيد حيث نبأهم الخطيب إلى الإصغاء لكلامه وخطبته المجيدة. ولو فهم العلماء والخطباء المجيدون أن الخطبة تأتي أحيانا دفعة واحدة كما فعل الرسول. لن يفهمه بعض السامعين لأن العادة عندنا في إلقاء خطبته المنبرية بخلاف ذلك.
٩. والإستفهام: في قوله: هل بقي من بر أبوي شيئ...الخ وقوله أيضا: أي عمل أحب إلى الله...الخ وقوله: هل نسيتم الرجل والديه...الخ
١٠. الطباق: في قوله في آخر الخطبة:- وجنبني-ووفقني
١١. الترادف: في قوله:- جوّاد-كريم
١٢. حسن الإنتهاء أو براعة المقطع حيث ختم الخطبة بما ينبع أن يختم به الخطبة المجيدة وهو الدعاء وقوله أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم...الخ.

التعليق العام على أسلوب الخطيب

أن الخطبة المنبرية شيئ لا تستهان بها في المجتمع الإسلامي لدورها الفعّالة في المجتمع وذلك لإنقاذ أبناءه من غفلتهم الديني واللغوي، فإن نيجيريا أنجبت الدعاة الأكفاء المتفرغين للدعوة وهم على أشكال، ١- الأئمة في المساجد ٢- والخطباء المنابر ٣- والوعّاظ في المجتمعات والمحافل ٤- والمدرسون في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات وغيرهم، كل هذا هيأ للخطابة مكانة عالية ودور تلعبه في التطور اللغوي العربي في المجتمع النيجيري خاصة ومجتمع المسلمين عامة.

والدكتور عبد البارئ أديتنجي كان يلقى الخطب إلى الناس بأجتاسهم، وكان خطيبا منبريا مفلقا فصيح اللسان، قوي العبارة، وواضح أن خطبه تبدأ بحمد الله مقترنا بالشهادتين وتوصية المسلمين بتقوى الله وحثهم على قيام حقوق الله عز وجل، كما تقترن كل هذه الخطب بكلمة "أما بعد".فالخطبة على طولها توضح لنا كيف كان الخطيب يعظ الناس بالحكمة وقفا لقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

ومما ينبغي على الخطيب أن يكون له أسلوب في كتابة خطبه وإلقائها. كان أسلوب الدكتور عبد البارئ أديتنجي سهل الألفاظ والتراكيب وفقا فيما امنزت الخطابة في العصر الإسلامي. وباستماع إلى هذه الخطبة المنبرية المتواضعة تكون لها دور تلعبها الخطابة المنبرية في تطور اللغة العربية في جنوب نيجيريا، يستفيد منها طلاب العلوم العربية والإسلامية، ودعاة المسلمين فردا وجماعة.

الخاتمة

لقد تعرضت في هذه الورقة المتواضعة دور الخطابة المنبرية في تطور اللغة العربية في جنوب نيجيريا، وقد افتتحت هذه الورقة بتعرفات عديدة للخطابة ومفهومها، ثم أغراضها ونشأتها عبر العصور الأدبية المختلفة لكي نعرف ماهية هذا الفن الخطابي ودورها في التطور اللغوي العربي في المجتمع النيجيري خاصة والعالم الإسلامي عامة.

وجدير بالذكر أتيت بترجمة حياة الدكتور الخطيب مولدا ونشأة وإنتجاته العلمية والفكرية وإسهاماته اللغوية في تطور اللغة العربية في جنوب نيجيريا عن طريق خطبه المنبرية، وعرضت للقراء في هذا الصدد خطبته الدينية نموذجا، مع تحليلا بلاغيا. ثم التعليق العام على أساليب الخطيب المذكور في إلقاء خطبته المنبرية وفقا للحال والمحال، وأسأل الله أخيرا أن يجعل هذا الجهد موفقا ومفيدا للأفراد والمجتمع.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

الهوامش

١. ابن منظور (١٣٠٠ه)، لسان العرب، ج٢٠، ط١، الطبعة الكبرى المصرية، بيولاق، مصر

٢. إبراهيم البدو (١٩٩٩)، فنّ الخطابة، ط٢، دار القول الثابت، لبنان

٣. المنجد في اللغة

٤. أرسطو(١٩٥٩) الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية.

٥. الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، الطبعة الأولى، دار الاعتصار، ص٢٣

٦. محمد أبو وهرة (الإمام)، (١٩٣٤)، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٦

٧. الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، الطبعة الأولى، دار الاعتصار، ص٣٦

٨. المرجع نفسه، ص٣٦

٩. المرجع نفسه، ص٣٧

١٠. المرجع نفسه، ص٣٧

١١. المرجع نفسه، ص٣٨

١٢. محمد خليفة، الأدب والنصوص في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، ص ٧٢

١٣. المرجع نفسه، ص:٧٣

١٤. المرجع نفسه، ص:٧٤

١٥. المرجع نفسه، ص:٧٤

١٦. المرجع نفسه، ص:٧٥

١٧. علي محمد حسن وزكي علي سويلم، (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، الأدب وتاريخه في العصر الأموي والعباسي، القاهرة، مكتبة الجامعة الأزهرية ص ص:٤٠ – ٤١

١٨. المرجع نفسه، ص:٤٢

١٩. المرجع نفسه، ص:٤٣

٢٠. ابن منظور (١٣٠٠ه)، لسان العرب، ج٢٠، ط١، الطبعة الكبرى المصرية، بيولاق، مصر، ص١١٦

٢١. كتاب الموطأ للإمام مالك، باب النداء للصلاة

٢٢. أبو الفتح عثمان ابن جني، (د.ت) الخصائص، تحقيق محمد علي التجار، ج١، ص٣٣

٢٣. عبد الله بن محمد بن سعيد بن سينان الخفاجي(د.ت) ،سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ص٤٨

٢٤. عبد الرحمن ابن خلدون، (١٩٧٩) المقدمة، دار النهضة، القاهرة

٢٥. محمود عكاشة،٢٠٠٠، الدلالة اللفظية، مكتبة الانجلو المصرية، ص١٢٣

٢٦. انظر: الزاجحي، عبده (د)١٩٩٦ ،فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الشاتبي الاسكندرية، ص١٠٠

٢٧. عبد السلام أمين الله أتوتيليطو، دراسة نقدية لكتاب روائع الحكم للشيخ عبد البارئ أديتنجي، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قدمها لقسم الأديان، كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا، ٢٠٠٤م، ص١٣

٢٨. د.عزّالدين أديتنجي، الجهود الفردية في الاستثمار عن اللغة العربية في نيجيريا: الدكتور عبد البارئ أديتنجي نموذجا" كتاب المؤتمر الدولي للغة العربية المعنون" الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والدولي، دبي- الإمارات، ٧-١٠\٥\٢٠١٤، ج٣،ص٢٧٨-٢٩٣

٢٩. المصدر نفسه

٣٠. عبد السلام أمين الله أتوتيليطو، المصدر السابق، ص١٤

٣١. المصدر نفسه ٣٢. المصدر نفسه ١٥

٣٣. د.عبد البارئ أديتنجي، (٢٠١٧) ،روائع العنبر في خطب المنبر، دار البيدخ للطباعة، إبادن،ص٣٥-٤٠

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY